منهج صاحب كتاب
(درج الدرر في تفسير القرآن العظيم)
في التفسير بالمأثور

إعداد

الدكتور/ محمد أديب محمد شكور محمود امرير

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك

قسم الدراسات الإسلامية والمهارات اللغوية ـ كلية العلوم والآداب في الكامل

جامعة الملك عبد العزيز – جدة

المقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد اشتهر بين العلماء أن تفسير القرآن الكريم على نوعين، تفسير بالمأثور وتفسير بالرأي، واشتمل التفسير بالرأي على نوعين أيضًا، تفسير بالرأي المحمود وتفسير بالرأي المذموم، أما التفسير بالمأثور فاتُّفق على أنه مقبول عند العلماء، وذلك لما للتفسير بالمأثور من قيمة عالية عند المفسرين، واهتم العلماء به أيَّما اهتمام؛ ويستعمل هذا النمط في تفاسير المتقدمين والمتأخرين على حد سواء، والمعتمِدُ على ما أُثر ورُوي عمن سبقهم في مجال التفسير، ولكنه كمصطلح (التفسير بالمأثور) لم يكن عند المتقدمين موجودًا، إذ إن أول من استعمله هو ابن خلدون في مقدمته، فسماه التفسير النقلي، وعدَّه أحدَ نوعي التفسير، واصفًا إياه بأنه تفسير نقلي مستند إلى الآثار المنقولة عن السلف، وهي معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآي، وكل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين.

ومن الأمور المهمة التي تساعدنا في تفهم ما تحمله الكتب القديمة دراسةُ المناهج والأساليب لمؤلفيها خلال تأليفهم هذه الكتب، لنفيد منها في دراستنا أو تأليفنا أو تدريسنا، ومعرفة ما تحويه هذه الكتب من كنوز عظيمة، فجاءت هذه الدراسة لعناية مؤلف كتاب (درج الدرر في تفسير القرآن العظيم) والمنسوب إلى الإمام عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ)، وخُصَّت هذه الدراسة بـ (عنايته في التفسير بالمأثور) في هذا الكتاب ومدى اهتمامه به، إذ نجد أن تفسيره قد امتلأ بكثير من النقول عمن سبقه، مستخدمًا أنواع التفسير بالمأثور المختلفة، فاستخدم تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.(١)

وقد جاء هذا البحث مشتملاً على:

مقدمة ذكرت فيها أهمية الدراسة، وأسباب اختيار الموضوع، ومنهجي في البحث.

تمهيدٍ: تحدثت فيه عن المؤلف والكتاب، والتعريف اللغوي والاصطلاحي لمصطلح التفسير بالمأثور، والانتقاد الحاصل عليه.

المبحث الأول: تفسير القرآن بالقرآن.

المبحث الثاني: تفسير القرآن بالسنة النبوية المطهرة.

المبحث الثالث: تفسير القرآن الكريم بأقوال الصحابة رضوان الله تعالى عليهم.

المبحث الرابع: تفسير القرآن الكريم بأقوال التابعين وتابعيهم رحمهم الله تعالى.

الخاتمة: لخصت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

وكان منهج الدراسة في المباحث الأربعة على الشكل الآتي:

١ ـ قدمت لكل مبحث بمقدمة نظرية مبسطة تحدثت فيها عن نوع التفسير المراد دراسته في

(١) ينظر: تاريخ ابن خلدون ٤٣٩/١.

المبحث، ثم أتبعته بالأمثلة والأنواع التي استخدمها مؤلف الكتاب بهذا النوع من التفسير، ذاكرًا عنوانًا لكل فقرة، ثم أورد الأمثلة التي تؤكد وتبين ما شمله العنوان، من غير أن أناقش أقواله من صحة أو ضعف أُورد عليها، إذ قمت بعملية وصفية بحته لعناية المؤلف بهذا النوع من أنواع التفسير.

٢ ـ خرّجت الآيات بجوارها داخل معكوفتين، أذكر اسم السورة ورقم الآية.

٣ ـ خرّجت الأحاديث النبوية الشريفة من مظانها في كتب الحديث.

٤ ـ خرّجت الأثار من مظانها من كتب الحديث أو كتب التفسير.

٥ ـ عزوتُ الأمثلة التي أذكرها إلى موضعها في كتاب (درج الدرر في تفسير القرآن العظيم).

أسأل الله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن يحفظنا من الزلل والخطأ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

تمهيد:

المطلب الأول: المؤلف والكتاب.

أولاً ـ المؤلف:

١ ـ اسمه: نسب الكتاب إلى الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، وتوفي في جرجان سنة إحدى وسبعين وأربع مئة، وقيل: سنة أربع وسبعين ومئة، والأول أرجح.

٢ ـ **حياته:** عاش رحمه الله تعالى في مدينة جرجان، ولم يخرج منها حتى لطلب العلم، وذكر أبو البركات الأنباري أنه: "لم يخرج عن جرجان في طلب العلم"[٢].

٣ ـ **شيوخه:** ذكر ياقوت الحموي أن من شيوخه:

ـ القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن الجرجاني، المتوفى سنة (٣٩٢هـ)، صاحب كتاب (الوساطة بين المتنبي وخصومه)، وكان قاضي جرجان، وكان من مفاخرها.[٣]

ـ أبو الحسين محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الوارث الفارسي، المتوفى سنة (٤٢١هـ) ابن أخت أبي علي الفارسي، أحد أعيان العلم والفضل، وإمام النحو بعد خاله الفارسي.[٤]

٤ ـ **تلاميذه:** التلميذ الوحيد الذي ذكرته المصادر، هو: علي بن أبي زيد محمد بن علي الفصيحي (ت٥١٦هـ)، وكان نحويًا حاذقًا، وسمي بالفصيحي لكثرة إعادته ودرسه كتاب (فصيح) لثعلب.

(٢) نزهة الألباء، كمال الدين الأنباري، ٢٦٤.

(٣) ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ١٦/١٤. وهو أمر بعيد لأن وفاة عبد القاهر الجرجاني رحمه الله كانت سنة ٤٧١هـ، وعلى هذا يكون قد عاش نحو مئة عام، ولم تذكر المصادر أنه كان من المعمّرين.

(٤) ينظر: نزهة الألباء، كمال الدين الأنباري، ٢٦٤.

٥ ـ منزلته العلمية:

اشتهر الإمام عبد القاهر الجرجاني شهرة عظيمة، وصار إمامًا مقصودًا من جميع الجهات(٥)، وهو أول من دون عمل المعاني[٦]، وذاع صيت نظريته في النظم التي وضع من خلالها علاقة علم النحو بالبلاغة، وله كثير من الشعر[٧]، فهو أديب ناقد شاعر.

وهو من أئمة النحاة، "وله فضيلة تامة في النحو"[٨]، "وإليه انتهت رئاسة النحو في زمانه"[٩]

٦ ـ آثاره:

له مصنفات عديدة ذكرها الدكتور كازم بحر المرجان، وصنّفها في مجموعات، أذكر هنا بعضًا منها:

أ ـ أسرار البلاغة.

ب ـ الإيجاز: وهو شرح مختصر لكتاب (الإيضاح)

ج ـ الجمل.

د ـ دلائل الإعجاز.

هـ ـ المفتاح في الصرف.

و ـ المغني في شرح الإيضاح.

ثانيًا ـ الكتاب:

اسمه ونسبته ـ في النسخة الأصل من المخطوطة ثبت في صفحة العنوان: (درج الدرر في تفسير القرآن العظيم) وكذلك في النسختين ك وب، باسم قريب منه، وأجمعت النسخ الأربعة على الكتاب من تأليف عبد القاهر الجرجاني، وذكر إسماعيل باشا البغدادي ضمن تصانيف عبد القاهر الجرجاني: درج الدرر في تفسير الآي والسور)[١٠] وهذا العنوان أقرب إلى طريقة القدماء بشكل عام في إطلاق تسميات مسجوعة على تآليفهم.

وخلال تحقيق الكتاب تبين لنا ـ الدكتور طلعت الفرحان وأنا ـ أن الكتاب منسوب للإمام عبد القاهر الجرجاني وليس له من أمور كثيرة، لا يتسع الوقت لذكرها تنظر هناك[١١].

أهمية الكتاب: يعد تفسير (درج الدرر في تفسير القرآن العظيم من التفاسير القيمة، فهو ليس بمختصر مخلٍّ ولا مطوّل ممل، فهو ذو فائدة للقارئ العادي غير المختص، فائدته عظيمة للقارئ المختص.

(٥) طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، ١٤٩/٥.
(٦) البلغة، الفيروزأبادي، ١٢٦.
(٧) المرجع السابق ١٢٧.
(٨) شذرات الذهب، الحنبلي، ٣٤٠/٣.
(٩) النجوم الزاهرة، أبو المحاسن، ١٠٨/٥.
(١٠) ينظر: هدية العارفين، الباباني ٦٠٦/١.
(١١) درج الدرر في تفسير القرآن العظيم، الجرجاني ١٥/١ وما بعدها، و٥/٢ وما بعدها.

وقد حوى الكتاب على كثير من النقولات عن علماء سابقين من أعلام التفسير والحديث واللغة والنحو وغيرها من العلوم، فهو يجمع بين التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي بما يبديه من آراء في كثير من المسائل التي فيها اختلاف.

مصادر المؤلف في كتابه:

انقسمت مصادر المؤلف إلى قسمين بشكل عام:

الأول: الأعلام الذين نقل عنهم، على اختلاف علومهم، كعلماء التفسير والحديث واللغة والنحو، واختلف في النقل عنهم فمنهم من أكثر عنهم، مثل: الصحابيان عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، والتابعيان: الحسن البصري ومجاهد، وغيرهم.

ومنهم من لم يكثر الأخذ عنهم، مثل: أبو عمرو بن العلاء الحضرمي، والنضر بن شميل، وغيرهما.

الثاني: كتب نقل عنها: صرح بأسماء بعضها، وأكثرها لم يصرح بها، منها: تفسير ابن عباس، وتفسير مجاهد، وتفسير الطبري، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة، وغيرها.

منهج المؤلف الكتاب:

١ ـ كانت للمؤلف رحمه الله عناية بالقراءات القرآنية في مواضع مختلفة، على نوعيها الصحيحة والشاذة.

٢ – اعتنى بعلوم القرآن الكريم بشكل عام كأسباب النزول والمكي والمدني، والإسرائيليات، وعدد آي السور وغيرها.

٣ – استعمل أنواع التفسير المتعارف عليها، كالتفسير بالمأثور والتفسير بالرأي.

٤ – تكلم في كثير من المواطن عن مناسبة الآية لما قبلها، أو مناسبة القصة لما سبقها من آيات.

٥ – اعتنى بعلوم اللغة والبلاغة والنحو على قدر مختلف بين مكثر ومقل.

٦ – اعتنى بأبنية الكلمة القرآنية، كذكر الوزن الصرفي للكلمة، وبيان أصلها... .

٧ –اعتنى بالشواهد الشعرية وبخاصة في القسم الأول من الكتاب.

٨ – كانت له عناية ببعض الأحكام الفقهية التي في الآيات، ولكنه بشكل مقتضب وبسيط، فلم يكن هدفه الأحكام الفقهية وإنما التفسير.

المطلب الثاني: معنى التفسير بالمأثور:

أولاً ـ لغة:

المأثور: مأخوذ من الفعل الثلاثي أثر، وهو المنقول. والأثر: بقية الشيء، وحديث مأثور: أي: يُخبر الناس به بعضهم بعضًا، أي: ينقله خلف عن سلف.(١٢)

ثانيًا ـ اصطلاحًا:

ذكر الزرقاني تحت موضوع التفسير بالمأثور قوله: هو ما جاء في القرآن، أو السنة، أو كلام الصحابة تبيانًا لمراد الله في كتابه.(١٣) ويلاحظ من هذا التعريف أنَّ الزرقانيَّ ـ رحمه الله ـ لم يدخل تفسير التابعي في التفسير بالمأثور.

وعرَّفه مناع القطاع بقوله: "هو الذي يعتمد على صحيح المنقول، ...، من تفسير القرآن بالقرآن، أو بالسُّنَّة؛ لأنها جاءت مبيِّنة لكتاب الله، أو بما رُوِي عن الصحابة؛ لأنهم أعلم الناس بكتاب الله، أو بما قاله كبار التابعين؛ لأنهم تلقَّوا ذلك غالبًا عن الصحابة"(١٤). مقتصرًا على كبار التابعين.

أما الدكتور حسين الذهبي فذكر في تعريفه للتفسير بالمأثور قوله: "يشمل التفسير المأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقل عن الرسول ﷺ، وما نُقِل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نُقِل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم"(١٥). مدرجًا في التفسير بالمأثور ما روي عن التابعي، فيقول: "وإنما أدرجنا في التفسير المأثور ما رُوِيَ عن التابعين ـ وإن كان فيه خلاف: هل هو من قبيل المأثور أو من قبيل الرأي ـ لأننا وجدنا كتب التفسير المأثور، كتفسير ابن جرير الطبري وتفسير ابن أبي حاتم وغيرهما، لم تقتصر على ذِكْر ما رُوِيَ عن النبيّ ﷺ وما رُوِيَ عن أصحابه، بل ضمت إلى ذلك ما نُقِل عن التابعين فى التفسير".

وقد انتقد الدكتور مساعد الطيار هذا المصطلح في بحثه (التفسير بالماثور ـ نقد المصطلح وتأصيل)، فيوجه النقد إلى هذا المصطلح من أمرين:

الأول ـ ما يتعلق بصحة دخول هذه الأنواع في مسمى (المأثور): فيظهر أن إدخال الأنواع الأربعة فيه (تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة، وتفسير القرآن بأقوال التابعين) لا ينطبق عليهم جميعًا، بل يخرج ما هو منها، لهذا فالمصطلح غير جامع ولا مانع وذلك:

أ ـ المأثور هو ما أثر عمن سلف، ويطلق في الاصطلاح على ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة ومن بعدهم من التابعين وتابعيهم.

ب ـ المأثور في التفسير يشمل ما أثر عن تابعي التابعي كذلك، ومن دوّن التفسير بالمأثور

(١٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٥/٤.
(١٣) مناهل العرفان، الزرقاني ١٠/٢.
(١٤) مباحث في علوم القرآن، القطان، ٣٥٨.
(١٥) التفسير والمفسرون، الذهبي ٥/٤.

فإنه ينقل أقوالهم، كالطبري وابن أبي حاتم، وغيرهم. بل قد ينقلون عمن دونهم من الطبقة، كمالك بن أنس وغيره.

الثاني - ما يتعلق بالنتيجة المترتبة عليه، وهي (الحكم).

وبعد مناقشة واسعة للمصطلح يطرح الدكتور مساعد الطيار سؤالاً، هل يوجد تفسير يسمى بالمأثور؟

فيقسم الإجابة إلى جهتين:

أ ـ جهة النقل، وهي متأتية من تعريف الأثر: وهو ما أثر عن النبي ﷺ، وعن الصحابة وعن التابعين وعن تابعيهم ممن عُرفوا بالتفسير، وكانت لهم آراء مستقلة مبنية على اجتهادهم.

ب ـ من جهة الحكم أي: ما يجب اتباعه، والأخذ به، فقسمه إلى أربعة أنواع:

١ ـ ما صح عن النبي ﷺ.

٢ ـ ما صح مما روي عن النبي ﷺ مما له حكم المرفوع كأسباب النزول والغيبيات.

٣ ـ ما أجمع عليه الصحابة أو التابعون؛ لأن إجماعهم حجة يجب الأخذ به.

٤ ـ ما ورد عن الصحابة خصوصًا أو عن التابعين ممن هم في عصر الاحتجاج اللغوي من تفسير لغوي، فإن كان مجمعًا عليه فلا إشكال في قبوله وحجيته، وإن ورد عن واحد منهم، ولم يعرف له مخالف، فهو مقبول.(١٦)

وبهذا النقد المميز لهذا المصطلح يتبين لنا معنى التفسير بالمأثور، وأكثر النقد يأتي من جهة النقل، إذ إن هذا ما جرى عليه علماؤنا في كتبهم التي تخصصت بالتفسير بالمأثور، من مثل تفسير الطبري وابن كثير والسيوطي وغيرهم رحمهم الله تعالى.

وللتفسير بالمأثور أنواع أربعة على المعنى الواسع للمصطلح، هي: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة النبوية، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة، وتفسير القرآن بأقوال التابعين وتابعي التابعين.

المبحث الأول ـ تفسير القرآن بالقرآن:

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: "أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان فإنه قد فسّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان، فقد بُسط في موضع آخر"(١٧).

والقرآن الكريم نزل بلسان عربي، وعلى لغتهم وأصول تعبيرهم، **((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ))** [إبراهيم:٤] وقال تعالى: **((قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ))** [الزُّمر:٢٨]، وهذا لا يمنع أن يكون للقرآن مرادٌ خاصٌ من كلماته وآياته، فيكون له مصطلحه الخاص به، فإن من الطبيعي أن يكون القرآن الكريم مبيّنًا لنفسه، يقول علي بن أبي

(١٦) ينظر: التفسير بالمأثور ـ نقد المصطلح وتأصيل، الطيار، ٧.
(١٧) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، .

طالب رضي الله عنه: "ينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في الله، ولا يخالف بصاحبه عن الله"[١٨].

ومن هنا اتفق المفسرون على أن "القرآن يفسر بعضه بعضًا"[١٩] "فما أجمل في مكان فقد فصل في موضع آخر، وما اختصر في مكان فإنه بُسط في آخر"[٢٠].

ومعرفة الكلام من خلال كلام المتحدّث نفسه، وسياق كلامه بالقرائن والدلائل، أمر عرفي وعلمي وجار بين العلماء، وفي القرآن الكريم مقدم على غيره؛ لأنه: **((كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ))** [هود:١]، ولذا قال المفسرون: "فإذا دلّ موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه، ورجّحنا القول بذلك على غيره من الأقوال"[٢١].[٢٢]

فعلى من يريد تفسير القرآن الكريم أن ينظرَ في آياته ذات الموضوع الواحد، ويجمعَها، فإن ما أجمل في مكان قد يبيَّن في مكان آخر، وما أشكل في موضع قد يوضح في موضع آخر، وما جاء مطلقًا في موضع قد يقيّد في موضع، وما جاء موجزًا في موضع قد يفصل في موضع آخر، وبهذا يكون قد فسّر القرآن بالقرآن.[٢٣]

أنواع تفسير القرآن بالقرآن:

١ ـ بيان المجمل.
٢ ـ تقييد المطلق.
٣ ـ تخصيص العام.
٤ ـ تفسير المفهوم من آية بآية أخرى.
٥ ـ تفسير لفظة بلفظة.
٦ ـ تفسير معنى بمعنى.
٧ ـ تفسير أسلوب في آية بأسلوب في آية أخرى.

ولو استُقرئتْ كتبُ التفسير التي تُعنى بتفسير القرآن بالقرآن لظهرت أنواع أخرى في هذا الطريق.[٢٤]

فإذن ينبغي على المفسِّرِ عندما يُفسِّرَ آيةً من القرآنِ أنْ يستذكرَ الآيات الأخرى في موضوعِها ويَستحضرَها، فقد يحتاجُ إلى بعضِها، لتوضيحِ معنى الآيةِ التي هو بصددها، وهذا يتطلَّبُ منه أنْ يكونَ متمكِّنًا من القرآن الكريم، وتعبيره عن الموضوع الواحدِ في عدَّةِ سورٍ، إذ إن من طبيعةِ القرآنِ في عرضِ موضوعاتِه أنَّه لا يَعرضُ الموضوعَ الواحدَ في موضعٍ واحدٍ، وسورةٍ واحدةٍ، وإنَّما يوزّعُه على سورٍ ومواضعَ متعددةٍ، لحِكَمٍ تربويةٍ وتشريعيةٍ، ... .

(١٨) كنز العمال، الهندي، ٦١٩/١ (٢٨٦١).
(١٩) الكشاف، الزمخشري ١٢٤/٣.
(٢٠) البرهان في علوم القرآن، الزركشي ١٧٥/٢.
(٢١) جامع لطائف التفسير، القماش، ٣٦/١.
(٢٢) ينظر: منهج النقد في التفسير،إحسان الأمين ١٧٩-١٨٠.
(٢٣) ينظر: بحوث في أصول التفسير ومناهجه، الرومي، ٧٤.
(٢٤) فصول في أصول التفسير، الطيار ٢٣.

ونجدُ المؤلِّفَ رحمه الله تعالى قد اهتمَّ بهذا النوعِ منَ التفسيرِ كثيرًا، واعتمدَ عليه اعتمادًا كبيرًا، فقد أكثرَ من ظاهرةِ الاستشهادِ بالآياتِ الكريمةِ لبيانِ معاني القرآن الكريم، وقد نوَّعَ أساليبَه على أشكالٍ متعددةٍ منها:

١ – يفسِّرُ آيةً بآيةٍ أخرى: ففي تفسيره لقولِ اللهِ تعالى: **((فِي جَوِّ السَّمَاءِ))** [النحل: ٧٩]، يُفسِّرُها بالهواءِ، ويقول: ((مجملةٌ تفسيرُها: **((صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ))** [الملك:١٩]))[٢٥]. وعندَ تفسيره قولَ اللهِ تعالى: **((غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ))** [الفاتحة:٧] يقول: ((وهمُ اليهودُ؛ لقولِ الله تعالى في شأنهم: **((فَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ))** [البقرة:٩٠]. **((وَلاَ الضَّالِّين))** [الفاتحة:٧]: النصارى؛ لقوله تعالى: **((وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ))**. [المائدة:٧٧]))[٢٦]

٢ – استشهادُه على معنى كلمةٍ بآيةٍ: مثالُ ذلك عند تفسيره كلمةَ: **((الْمُسَوَّمَةِ))** [آل عمران:١٤]، فبعد أنْ فسَّرها بالرَّاعيةِ، يستشهدُ على هذا المعنى بقولِ اللهِ تعالى: **((شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ))** [النحل:١٠].[٢٧] وعند بيانه لمعنى (التظاهر) في قولِ اللهِ تعالى: **((تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم))** [البقرة:٨٥]، يقول: ((تَعاوَنون عليهم، قال الله تعالى: **((سِحْرَانِ تَظَاهَرَا))** [القصص:٤٨]))[٢٨]

٣ – يستشهدُ بآيةٍ في معرضِ حديثِه عنِ قضايا نحويَّةٍ: ففي قوله: **((وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ المُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ وَاللهُ وَلِيُّهُمَا))** [آل عمران:١٢١-١٢٢]، يقول: ((و((**إِذْ**)): بدل عن ((**إِذْ**)) الأوَّل، لاتِّحادِ وقتِهما، كقوله: **((إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ))** [التوبة:٤٠]))[٢٩] وفي قولِه تعالى: **((أَوْ كَصَيِّبٍ))** [البقرة:١٩] يقول: ((أو ههنا للعطفِ، كقوله: **((وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا))** [الإنسان:٢٤]))[٣٠]، وفي تفسيره لقوله تعالى: **((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ))** [آل عمران:١١٠]، يستشهدُ بقولِ اللهِ تعالى: **((مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا))** على أنَّ (كان) في (كنتم) هي زائدةٌ للتوكيد، كما في الآيةِ الأخرى.[٣١]

٤ – يشابِه بين حالين في آيتينِ من حيثُ المعنى: فعند قوله تعالى: **((وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ))** [النساء:٧٨]، يقول: ((إخبارٌ عن بعضِ المنافقينَ، تشاءموا بالنبيِّ ﷺ وقالوا: نقصَ بقدومه غلاّتُنا، وغَلَتْ أسعارُنا، وهو قريبٌ من قصَّةِ آلِ فرعون، ((**فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا**

(٢٥) درج الدرر، الجرجاني، ١٩١/٢.
(٢٦) درج الدرر، الجرجاني، ١٠٢-١٠٣.
(٢٧) درج الدرر، الجرجاني٣٨٣/١.
(٢٨) در الدرر، الجرجاني ١٩٢/١.
(٢٩) درج الدرر، الجرجاني، ٤٢٦/١.
(٣٠) درج الدرر، الجرجاني، ١١٥/١.
(٣١) درج الدرر، الجرجاني، ٤٢٠/١.

هَـذِهِ...)) الآيـة [الأعراف:١٣١]))[٣٢] فشـابه بـين حـالِ المنـافقينَ فـي عهـدِ النبـيِّ صـلى الله عليه وسلم وحالِ بني إسرائيلَ في معاملةِ نبيّهما عليهما السلام.

٥ – يستشهدُ بالآيةِ على معنى بلاغيّ: ففي قولـه تعـالى: ((**الْحَلِيمُ الرَّشِيد**)) [هود:٨٧] يبين أن معنـى هـذا هـو السـفيهُ الجاهـلُ، فيستشـهد بقولـه تعـالى: ((**ذُقْ إِنَّـكَ أَنـتَ الْعَزِيـزُ الْكَـرِيم**)) [الدخان:٤٩]،[٣٣] فخرج بهذا من المعنى الظاهرِ إلى المعنى المجازيِّ في الآيتين.

٦ – يستشهدُ بأكثرَ من آيةٍ مؤيّدًا قولاً ذهب إليه: ففي قوله تعالى: ((**وَأَوْحَيْنَا**)) [يوسف:١٥]، فيقول عن الـواو: إنّهـا مقحمـةٌ، فيؤكّـدُ ذلـك بأنّهـا كمـا فـي قولـه تعـالى: ((**وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَـا**)) [الزمر:٧٣]، وقوله تعالى: ((**وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ**)) [الصافات:١٠٣].[٣٤]

٧ – يستشهدُ بأكثر من آيةٍ ليُرجّحَ رأيًا على آخرَ: يقول عن (ما) في (إنما) في قول الله تعالى: ((**وَإِنَّمَـا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ**)) [آل عمران:١٨٥]، إنَّ (مـا) هنـا كافَّـةٌ، إذ لـو كانـت بمعنى (الذي) لكان ((**أُجُورَكُمْ**)) بالرفعِ، ولكان قولُه: ((**يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)) من الصلةِ، والصلةُ لا تنفكُّ عن الموصولِ، كقولـه تعـالى: ((**إِنَّمَـا تُنـذِرُ**)) [يس:١١]، ((**إِنَّمَـا يَخْشَـى اللَّهَ**)) [فـاطر: ٢٨]، ((**إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ**)) [النَّحل: ٩٢].[٣٥]

المبحث الثاني ـ تفسير القرآن بالسنة النبوية المطهرة.

يقـول الله تعـالى: ((**وَأَنْزَلْنَـا إِلَيْـكَ الـذِّكْرَ لِتُبَـيِّنَ لِلنَّـاسِ مَـا نُـزِّلَ إِلَـيْهِمْ وَلَعَلَّهُـمْ يَتَفَكَّـرُونَ**)) [النحل:٤٤]، ويقول النبي: ((ألا إني أوتيت الكتـاب ومثلـه معـه، ألا إنـي أوتيـت القرآن ومثلـه معـه ...)) [٣٦]، قـال الإمـام أحمـد رحمـه الله: "السـنة تفسّر الكتـاب وتبينـه"[٣٧] ويقـول الإمـام الشافعي رحمه الله: "كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو ممـا فهمـه من القرآن"[٣٨] ويقول ابـن تيمية رحمه الله: "فإن أعيـاك ذلـك ـ أي: تفسير القرآن بـالقرآن ـ فعليك بالسنة، فإنهـا شـارحةٌ للقرآن، وموضّحةٌ له"[٣٩]

قـال الإمـام القرطبـي رحمـه الله تعـالى: "ثم البيـان منـه ﷺ علـى ضـربين: بيـان لمجملٍ فـي الكتـاب، كبيانـه للصـلوات الخمس فـي مواقيتهـا، وسـجودها، وركوعهـا، وسـائر أحكامهـا، ... وبيان آخر، وهو الزيـادة علـى حكم الكتـاب، كتحـريم نكـاح المـرأة علـى عمتهـا وخالتهـا، ... . [٤٠]

وأوجه بيان السنة للكتاب أربعة:

(٣٢) درج الدرر، الجرجاني، ٥٠٨/١.
(٣٣) ينظر: درج الدرر، الجرجاني ١١٢/٢.
(٣٤) درج الدرر، الجرجاني، ١٢٣/٢.
(٣٥) درج الدرر، الجرجاني، ٤٥٥/١.
(٣٦) جزء من حديث أخرجه أحمد في مسنده ٤١٠/٢٨ (١٧١٧٣)، وأبو داود في سننه ١٣/٧ (٤٦٠٤)، وقال الشيخ شعيب: إسناده صحيح.
(٣٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣٩/١.
(٣٨) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/١.
(٣٩) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٦٣/١٣.
(٤٠) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣٨/١-٣٩.

أولها: تبين ما أُجمل في القرآن، وتُوضح المشكل، وتخصص العام، وتقيد المطلق.
ثانيها: تُبيّن معنى لفظ، أو متعلَّقه.
ثالثها: بيان أحكام زائدة على ما جاء في القرآن الكريم.
رابعها: بيان التأكيد، أي: تأتي السنة موافقة لما جاء في القرآن الكريم لتأكيده.(٤١)

ومن هنا يتضح أنَّ السنَّةَ مفسرةٌ للقرآن، وموضحةٌ لمعانيه، ولكن فيما له علاقة بالعبادات، والمعاملات، والآداب، والأخلاق، أما ما يرجع فهمه وإدراكه إلى معرفة لغة العرب، فكان الصحابة رضي الله عنهم من أقحاحِ العرب وفصحائهم وبلغائهم، فلم يكونوا بحاجة إلى إيضاحه من النبي ﷺ بشكل مفصل.(٤٢)

أنواع تفسير الرسول ﷺ للقرآن:

١ـ أن يبتدأ الصحابة بالتفسير فينص على تفسير آية أو لفظة، وله أسلوبان:
الأول ـ أن يذكر التفسير، ثم يذكر الآية المفسّرة.
الثاني ـ أن يذكر الآية المفسرة، ثم يذكر تفسيرها.
٢ ـ أن يُشكل على الصحابة فهم آية فيفسرها لهم.
٣ ـ أن يذكر في كلامه ما يصلح أن يكون تفسيرًا للآية.
٤ ـ أن يتأول القرآن، فيعمل بما فيه من أمر، ويترك ما فيه من نهي.(٤٣)

تأتي هذهِ المرحلةُ بعدَ المرحلةِ الأولى التي هي تفسيرُ القرآنِ بالقرآنِ، والسنَّة هي المصدرُ الثاني من مصادرِ التشريعِ، وهي مُوضِّحةٌ للقرآنِ الكريمِ.

يقولُ ابنُ تيميةَ رحمه الله تعالى: ((فإنْ أعياكَ ذلكَ فعليك بالسنَّة، فإنَّها شارحةٌ وموضِّحةٌ له، بل قد قال الإمام محمدُ بنُ إدريس الشافعيُّ: كلُّ ما حَكمَ به رسولُ اللهِ ﷺ، فهو ممَّا فهمَه منَ القرآنِ. قال اللهُ تعالى: ((**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا**)) [النساء:١٠٥]، وقال تعالى: ((**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**)) [النحل:٤٤]، وقال تعالى: ((**وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون**)) [النحل:٦٤]، ولهذا قال رسول الله ﷺ: ((ألا إنِّي أوتيتُ القرآنَ ومثلَه معَه)).(٤٤)

والغرضُ: أنَّك تطلبُ تفسيرَ القرآنِ منه، فإنْ لم تجدْه فمنَ السنَّة)).(٤٥)

وعلى المفسِّرِ أنْ يكونَ حذرًا في اعتمادِه على أحاديثِ رسولِ اللهِ ﷺ، وذلك أنْ يأخذَ بالحديث الصحيحِ الثابتِ منها، ويتركَ الأحاديثَ الضعيفةَ والموضوعةَ، فينزِّه تفسيرَه عنها.

(٤١) ينظر: بحوث في أصول التفسير ومناهجه، الرومي، ٧٦-٧٧.
(٤٢) أصول التفسير وقواعده، العك، ١١٧.
(٤٣) فصول في أصول التفسير، الطيار، ٢٧.
(٤٤) سبق تخريجه.
(٤٥) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية ٤٥.

ومؤلفُ درجِ الدررِ رحمه الله تعالى اعتمدَ اعتمادًا كبيرًا على السنَّةِ النبويَّةِ المطهَّرةِ ليفسِّرَ بها القرآنَ الكريم، وبأوجهٍ مختلفةٍ ومتنوّعةٍ، مُوْليًا اهتمامَه لهذا النوعَ منَ التفسيرِ، لكنَّه لم ينقِّحِ الأحاديثَ التي أوردَها في هذا التفسيرِ، فنجدُه يروي الأحاديثَ الصحيحةَ الثابتةَ، والأحاديثَ الضعيفةَ، بل والموضوعةِ كذلك في بعض الأحيان.

والملحوظةُ العامَّةُ المهمَّةُ أنَّه لا يذكرُ إسنادَ الحديثِ، فيكتفي بذكرِ المتنِ، ولا يذكر درجةَ الحديثِ أو مصدرَه من كتبِ الحديثِ، وقد يعتمدُ في تفسيره لآيةٍ على حديثٍ ضعيفٍ أو موضوعٍ، فيبني عليه آراء معيَّنةً، مستندًا في ذلك على ما أورده من قولِ الإمامِ أحمدِ بنِ حنبلٍ رحمة الله عليه، مبرّرًا استشهادَه بهذه الأحاديث الضعيفة، فيقول: "وعن أحمدَ بنِ حنبل قال: إذا روينا عن رسولِ اللهِ في الحلالِ والحرامِ والسننِ والأحكامِ تشدَّدنا في الأسانيدِ، وإذا روينا في فضائلِ الأعمالِ، وما لا يضعُ حُكمًا ولا يرفعُه تساهلْنا في الأسانيدِ".(٤٦) وأظنُّ أنَّ الإمامَ أحمدَ لم يُردْ بهذِه المقولةِ الأحاديثَ الضعيفةِ المتهالكةِ التي لا تُجبّرُ، أو الأحاديثَ الموضوعةَ المختلقةَ على النبيِّ ﷺ، ولكنَّه أرادَ الأحاديثَ التي يمكنْ أنْ تجبرَ بغيرِها سواء بالمتابعةِ أو الشواهدِ، فهذا القولُ ليس مبرّرًا له أنْ يوردَ هذه الكثرةَ منَ الأحاديثِ الضعيفةِ والضعيفةِ جدًّا والموضوعةِ، وهذه آفةُ كثيرٍ منَ المفسرينَ.

ونجد أنَّ أسلوبَه في ذكرِ الأحاديثِ النبويَّةِ المطهَّرةِ في التفسير جاء على النحو الآتي:

١ – يذكرُ الحديثَ بشكلٍ مباشرٍ لمعنى الآيةِ، إذ يذكرُ الآيةَ في ضمنِ الحديثِ، والمثالُ عليه: في سورةِ هود عليه السلام يقول: ((عن أبي موسى، عنه عليه السلام: أنَّ اللهَ تعالى يُملي للظَّالمِ، أو قال: يُمهِلُ، حتى إذا أخذَه لم يُفلِتْ، ثم قرأ: **((وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ ...))** الآية [هود: ١٠٢])).(٤٧)

٢ - يستشهد بحديث على معنى استنبطه من معنى آية: مثال ذلك عند تفسير قوله تعالى: **((وَأَطِيعُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُون))** [آل عمران:١٣٢]، يقول: ((إنما ذكر الرسول ليعلم أن أوامره شريعة واجبة، وإن لم ينطق بها الكتاب لتقرير الله ذلك بتبقية إعجازه، وقد تواترت الأخبار أنه ﷺ قال: ((أوتيت القرآن ومثله مرتين))(٤٨)))(٤٩).

٣ – يستشهد بحديث على معنى بلاغي، وهو الحذف، في الآية: ففي تفسير قوله تعالى: **((عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ))** [آل عمران:١٣٣]، يقول: ((أي: كعرض السماوات، وإنما حذف لعدم الإيهام، كقوله ﷺ: (الضبع نعجة سمينة)(٥٠)))(٥١).

---

(٤٦) درج الدرر، الجرجاني، ٣٣٧/٢، وقول الإمام أحمد في: القول المقتصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ١٦١/٣.

(٤٧) درج الدرر، الجرجاني، ١١٤/١.

(٤٨) سبق تخريجه.

(٤٩) درج الدرر، الجرجاني، ٤٣٢/١.

(٥٠) وهو قول عكرمة في المعجم الأوسط، الطبراني، ٣١٢/٢، وعن أبي هريرة أنه سُئِل عن الضبع فقال: نعجة من الغنم، ينظر: مصنف ابن أبي شيبة ١١٨/٥، والسنن الكبرى للبيهقي ٣١٩/٩.

(٥١) درج الدرر، الجرجاني، ٤٣٢/١.

٤ – يستشهد بالحديث على معنى عام يمكن أن يؤخذ من الآية، فبعد أن يعطي معنى (المرابطة) في قوله تعالى: ((**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**)) [آل عمران:٢٠٠] يقول: ((والظاهر من الرباط ارتباط الخيل، ولكنه يستعمل في كل ما يلزم ويثبت)) فيستشهد بالحديث بقوله: ((وفي الحديث: ألا أدلكم ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء في السَّبَرَات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فَذَلِكُمُ الرِّباط فذلكم الرِّباط فذلكم الرِّباط))((٥٢))) (٥٣).

٥ – ويستشهد بحديث على حكم فقهي: فعندما يتحدث عن ميراث البنات حالة الانفراد، فإنهن يرثن بالفرض: للابنتين الثلثان، ويذكر قول ابن عباس رضي الله عنهما من أنَّ لهما النصفُ، ... فيقول مستشهدًا بما روي من أنَّ سعدَ بنَ الربيع استُشهد وترك ابنتين وامرأة وعمًّا، فورَّث النبي عليه السلام الابنتين الثُّلُثَين، والمرأةَ الثُّمنَ، وأعطى الباقي العمَّ.(٥٤)

٦ – يذكر الحديث أو معناه ولا يشير إليه: من ذلك حين فسر قول الله تعالى: ((**وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ**)) [الشورى:٣٩]، قال: ((المستَبَّانِ ما قالا من شيء فعلى البادئ، حتى يعتديَ المظلومُ))(٥٥) وكذلك ذكر قول النبي ﷺ: ((من نوقش الحساب فقد عذب))(٥٦)، في معرض بيان معنى قوله تعالى: ((**إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**)) [المائدة:٤](٥٧) وهذان نصان لحديثين نبويين شريفين، لكنه لم يذكر أنهما حديثان، ولم يشر إليهما بشيء. ويقول في تفسير قول الله تعالى: ((**وَلَن تَسْتَطِيعُواْ**))[النساء:١٢٩]: نفَى كلَّ استطاعةِ كلِّ العدل بينهن؛ لأنَّ الإنسانَ وإنْ سوَّى بينهنَّ في القسم لم يقدر أنْ يُسوِّيَ بينهنَّ في الحبِّ والمفاكهة والمطايبة،(٥٨) مشيرًا إلى الحديث: عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يَقسِم فيعدل، ويقول: ((اللهم هذا قَسْمِي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك)). يعني القلب.(٥٩).

٧ – يعلل أمرًا في الآية بحديث ليزيد من توضيح الآية: فعندما يتحدث عن قول الله تعالى: ((**فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ**)) [المائدة:٣١]، يعلل هذا الندم من القاتل بحديث عن النبي صلى الله

(٥٢) أخرجه مسلم في صحيحه٢١٩/١ (٢٥١)، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره.
(٥٣) درج الدرر، الجرجاني، ٤٦٠/١.
(٥٤) ينظر: درج الدرر، الجرجاني، ٤٧٠/١، والحديث أخرجه أبو داود في السنن ٥١٩/٤ (٢٨٩٢) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.
(٥٥) درج الدرر، الجرجاني، ٥٥٦/٢. والحديث أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٨٧)، وأبو داود في السنن (٤٨٩٤).
(٥٦) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، ١١١/٨ (٦٥٣٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب (٢٨٧٦).
(٥٧) درج الدرر، الجرجاني، ٥٤٨/١.
(٥٨) درج الدرر، الجرجاني، ٥٣١/١.
(٥٩) أبو داود في السنن كتاب النكاح، باب في القسم بين النساء ٤٧٠/٣(٢١٣٤).

عليه وسلم بقوله: ((وإنما لم تنفعه الندامة لقوله ﷺ: (ثلاث لا تقبل توبتهم: إبليس رأس الكفرة، وقابيل رأس القتلة، ومن قتل نبيًّا أو قتله نبي)[٦٠])).[٦١]

٨ – يستشهد بأحاديث مرسلة: فمثلاً عن ابن المسيب قال: لما نزلت **((وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ))** الآية [الرعد:٦]، قال عليه السلام: ((لولا عفو الله وتجاوزه ما هنَّأَ أحدًا عيشٌ، ولولا وعيده وعقابه لاتَّكلَ كلُّ أحدٍ))[٦٢].[٦٣] وكذلك في قوله تعالى: **((يَضِيقُ صَدْرُكَ))** [الحجر:٩٧] يروي حديثًا ((عن الحسن البصري رحمه الله يقول: كان عند النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ، فجعل يعرض عليه الإسلامَ، قال: فقال: والله إنِّي لكارهٌ لما تدعوني إليه، قال: ((وأنا، والله، لقد كنتُ كارهًا له، ولكني أُكرهتُ عليه، إنَّ اللهَ بعثني بالرسالةِ، فضِقتُ ذرعًا، ووعدني فيها: لأبلغنَّ أو ليُعذبَنِّي)). فقال الحسن: فبلَّغَ، واللهِ، رسولُ الله حتى عذرَه اللهُ، فقال: **((فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ))** [الذاريات:٥٤]))[٦٤].[٦٥]

٩ – يستشهد بأكثر من حديث على معنى الآية: ففي تفسيره قول الله تعالى: **((فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا))** [الكهف:١١٠]، وبعد ذكر سبب نزول الآية، فإنه يذكر حديثين ليؤكد أن معنى الآية هو ما جاء في سبب النزول، والحديثان هما: عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: ((المؤمن نيّته خير من عمله، وعمل المنافق خير من نيّته، وكل يعمل على نيته، وليس من مؤمن يعمل عملاً إلا سَارَ في قلبه سَوْرَتان، فإن كانت الأولى لله، فلا تهدم الآخرة))[٦٦]، والحديث الآخر: عن أبي سعد بن أبي فضالة الأنصاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إذا جمع الناس يوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله أحدًا، فليطلب ثوابه عند غير الله، فإن الله أغنى الشركاء عن الشريك))[٦٧].[٦٨]

١٠ – ونجده يذكر أحاديث تدل على معنى واحد ولكن في أماكن مختلفة: فمثلاً قسم أحاديث فضل السجود وسجود التلاوة على مواطن كثيرة، فعندما يصل إلى قوله تعالى: **((وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ))** [الرعد:١٥]، يذكر حديثًا عن رسول الله ﷺ: كان رسول الله ﷺ يقول إذا سجد: ((سجد وجهي للذي خلقه، وشق سمعه وبصره))[٦٩]، وكذلك يورد حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عنه عليه السلام قال: ((

---

(٦٠) لم أقف عليه.
(٦١) درج الدرر، الجرجاني، ٥٦٢/١.
(٦٢) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٢١٤٥)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٨٥/٩.
(٦٣) درج الدرر، الجرجاني، ١٤٨/٢-١٤٩.
(٦٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٤٤١/٣.
(٦٥) درج الدرر، الجرجاني، ١٨٠/١.
(٦٦) أخرجه بمعناه الطبراني في المعجم الكبير (٥٩٤٢).
(٦٧) أخرجه الترمذي في السنن، أبواب التفسير، باب: ومن سورة الكهف ١٦٥/٥ (٣١٥٤)، وقال: هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه.
(٦٨) درج الدرر، الجرجاني، ٢٦١/٢.
(٦٩) درج الدرر، الجرجاني، ١٥١/٢، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل، ٥٣٤/١ (٧٧١) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي ويقول: أمر ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار))[٧٠]، وذلك عند قول الله تعالى: **((وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا))** [مريم:٥٨]. وعند تفسير قول الله تعالى: **((أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ))**[النمل:٢٥] يذكر حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ، وأبي الدرداء رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((ما من عبد يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة، وحطّ عنه بها خطيئة))[٧١].

١١ – أكثر من الاستشهاد بأحاديث ضعيفة، مثال ذلك: ما رُوي عن النبيّ عليه السلام: ((إن لربكم نفحات في أيام دهركم، فتعرضوا لها، فعسى أن تدرككم، فلا تشقوا أبدًا))[٧٢]، وذلك في تفسير قول الله تعالى: **((إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ))** [يوسف:٩٤]. وفي تفسيره لقول الله تعالى: **((لِلْمُتَوَسِّمِينَ))** {الحجر:٧٥} يقول: "المتبصرين المستدلين بالسمات والأمارات، قال ﷺ: ((اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله))، ثم قرأ: **((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ))** [الحجر:٧٥][٧٣].

١٢ – يستشهد بأحاديث موضوعة: كما في سورة النور وعند تفسير معنى النور في قول الله تعالى: **((اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ))** [النور:٣٥]، يورد الحديث القدسي الموضوع: ((الشيب نوري))،[٧٤] وكذلك يورد قصة الغرانيق عند تفسيره قول الله تعالى: **((وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا))** [الإسراء:٨٨].[٧٥]، وكذلك حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه الشهير في فضائل سور القرآن الكريم سورة سورة، والذي اعترف فيه صاحبه أنه قد وضعه؛ لأنه رأى الناس قد ابتعدوا عن القرآن الكريم. ففي خاتمة سورة مريم يذكره فيقول: عن أبي بن كعب، عنه عليه السلام: ((من قرأ سورة مريم أعطي عشر حسنات بعدد من كذّب زكريا، وصدّق به، ويحيى وعيسى وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون

(٧٠) درج الدرر، الجرجاني، ٢٧٦/٢، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، (٨١) وابن ماجه في السنن، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب سجود القرآن (٢٧٥٩).

(٧١) درج الدرر، الجرجاني، والحديث أخرجه الترمذي في السنن، أبواب الصلاة، باب ما جاء في كثرة الركوع والسجود٤١١/٢(٣٧٩).

(٧٢) درج الدرر، الجرجاني، ١٤٤/٢، والحديث أخرجه الطبراني في الكبير ٥١٩/١٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٩٩/١٠: فيه من لم أعرفه، ومن عرفتهم وثقوا.

(٧٣) درج الدرر، الجرجاني، ١٧٧/٢، والحديث أخرجه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجر ١٤٩/٥ (٣٢١٧) وقال: حديث غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف سنن الترمذي ٣٨٧/١.

(٧٤) درج الدرر، الجرجاني، ٣٦٥/٢، والحديث أخرجه في كشف الخفاء ٣٣٤/٢، وميزان الاعتدال ٣٩٣/٤، وقال الذهبي: هذا حديث باطل.

(٧٥) درج الدرر، الجرجاني، ٢٢٢/٢و٢٢٧، وهي قصة مختلقة موضوعة ينظر: نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق ٣٠.

وإدريس، وبعدد من دعا لله ولدًا، لا إله إلا الله، وبعدد من لم يدع لله ولدًا)) [٧٦]، وكذلك في خاتمة سورة الأنبياء[٧٧]، وغيرهما.

المبحث الثالث ـ تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

إن المنزلة العظيمة التي يتبوؤها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم في الإسلام لا تخفى على أي مسلم، إذ يكفيهم أن الصحبة تعني لقاء المصطفى ﷺ، ولهذا عُدَّ تفسيرهم من أحسن طرق التفسير بعد القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، يقول الزركشي رحمه الله: " ... فإن لم يوجد في السنة ـ ومن قبلها القرآن – يرجع إلى أقوال الصحابة؛ فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوه من القرائن، ولما أعطاهم الله من الفهم العجيب"[٧٨]

والصحابة رضوان الله عليهم عاشوا في فترة من الزمن لم يكن العرب قد اختلطوا فيها بغيرهم ـ كمن جاء بعدهم في فترة الفتوحات الإسلامية التي دخل فيها عدد ن القوميات المختلفة كالفرس والروم والأحباش وغيرهم – لذا فإن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يفهمون لغة القرآن الكريم التي نزل بها، فهم المخاطبون به، وإليهم نزل، وبهم انتشر بعد رسول الله ﷺ.

أما لماذا كانت لهم هذه المكانة العظيمة؟ فهي لأسباب عديدة، هي:

١ ـ أنهم شاهدوا نزول الوحي وما يحف بهذا النزول من قرائن وأسباب.

٢ ـ أنهم أهل اللسان العربي الأصيل، وأصحاب البلاغة والفصاحة والبيان.

٣ ـ أنهم أعلم الناس بعادات العرب وأحوالهم وأخبارهم؛ فإن بعض الآيات الكريمة لا يمكن تفسيرها إلا إذا عرفت تلك العادات والأحوال.

٤ ـ أنهم الجيل الذي خصهم الله تعالى بالخيريّة، وصفاء النفوس، وطهارة القلوب، وسعة النظر لأمور الحياة والكون والإنسان، وقبل ذلك كله مرافقة النبي ﷺ ورؤيتهم له، واقتباس النور منه.[٧٩]

مصادر الصحابة في التفسير:

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ السنة النبوية المطهرة.

٣ ـ اللغة العربية.

٤ ـ أهل الكتاب.

٥ ـ الفهم والاجتهاد.[٨٠]

هل تفسير الصحابي من قبيل الرواية أو الرأي؟

يمكن الإجابة على هذا السؤال من جهتين:

(٧٦) درج الدرر، الجرجاني، ٢٨٣/٢، والحديث اتفق على أنه حديث موضوع، ينظر: الموضوعات لابن الجوزي ٣٩١/١.

(٧٧) درج الدرر، الجرجاني، ٣٢٧/٢.

(٧٨) البرهان في علوم القرآن، الزركشي ١٧٦/٢.

(٧٩) ينظر: أصول التفسير وقواعده، العك، ١١٨.

(٨٠) فصول في أصول التفسير، الطيار، ٣٠.

الأولى: إن كان التفسير متعلقًا بسبب النزول أو المكي والمدني وما شابههما، أي: مما لا دخل للرأي فيه، فهذا يكون من قبيل الرواية الصرفة، التي هي بمنزلة الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ، بمعنى أنه لا دخل لاجتهاد الصحابي أو رأيه شيء.
الثانية: إذا لم يكن متعلق بذلك، أي: يكون موقوفًا عليهم، فليس كل ما قالوه سمعوه من النبي ﷺ، فهم قد اختلفوا في تفسير القرآن الكريم على وجوه، ولا يمكن أن يكون ذلك كله صادر عن النبي ﷺ، بل أقوالهم هذه على قدر ما فهموه من القرآن. فهذا من باب الاجتهاد والرأي الخاص بهم.(٨١)

بعد أن يُفسر المفسِّر الآية بالآيات الأخرى من القرآن الكريم، ثم بما صح من أحاديث عن النبي عليه السلام، ينتقلُ إلى المرحلة الثالثة، وهي البحث عن أقوال الصحابة رضوان الله عليهم، فإن وجد أقوالاً صحيحة عنهم اعتمدها وقال بها في تفسير الآية، فإن الصحابة أدرى الناس بالقرآن؛ لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها عن غيرهم، ولما لهم من الفهم والعلم الصحيح، ولاسيما علماؤهم وكبراؤهم رضي الله عنهم.

ويكون اعتماد المفسِّر على الصحيح منها، لأن كثيرًا من الأقوال لا تصح نسبتها إليهم، وقد يتعارض بعضها مع ظاهر كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ، فهي كالحديث النبوي الشريف منها الصحيح والضعيف والموضوع.

وقد اهتم المؤلف بهذا النوع اهتمامًا بالغًا، إذ نقل كثيرًا من أقوال الصحابة في تفسير كتاب الله تعالى، وقد اتبع في ذلك أساليب مختلفة، منها:

١ – يفسر آية بقول صحابي: مثال ذلك: ((قيل: جاء يهوديٌّ إلى عمرَ بن الخطَّاب فقال: أرأيتَ قوله: ((**وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ ...**)) الآية [آل عمران:١٣٣]، فقال عمر لأصحاب محمَّد ﷺ: أجيبوه، ولم يكن عندهم فيها شيء، فقال: أرأيتَ النهار إذا جاء يملأ السموات والأرض، قال: بلى، قال: فأين الليل؟ قال: حيث شاء الله، فقال عمر: والنَّار حيث شاء الله، فقال اليهوديُّ: والذي نفسكَ بيده، يا أمير المؤمنِين، إنَّها لفي كتاب الله المنزل كما قلتَ))(٨٢).

٢ – يورد أكثر من قول للصحابة في معنى الآية: في تفسيره قول الله تعالى: ((**أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ**)) [الإسراء:٥١]، يذكر عن ابن عباس: أنه الموت يوم بدر، لا بد من العود، وإن كنتم عين الموت.(٨٣) وعن عبد الله بن عمرو: المراد به البعث(٨٤).(٨٥)

(٨١) ينظر: منهج النقد في التفسير، د. إحسان الأمين، ٢٠٠.
(٨٢) درج الدرر، الجرجاني، ٤٣٢/١-٤٣٣، والأثر أخرجه الطبري ١٢٢/٤-١٢٣، والبغوي في تفسيره ٣٥١/١.
(٨٣) ينظر: تفسير الطبري ٨٩/٨، وزاد المسير، ابن الجوزي، ٣٣/٥.
(٨٤) ينظر: تفسير الماوردي ٢٤٨/٣ عن الكلبي.
(٨٥) درج الدرر، الجرجاني، ٢١٦/٢.

٣ – يستشهد بقول الصحابي على معنى كلمة: فعند تفسيره قول الله تعالى: **((مَوْئِلًا))**[الكهف:٥٨]، يقول: "منجى، قيل لعليٍّ: هلا احترزتَ من ظهرِك؟ قال: فإذا أمكنت من ظهرك، فلا وألت[٨٦].

يفسر كلمة بقول صحابي: ومنها ما جاء في تفسيره قول الله تعالى: **((وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً))** [النحل:٧٢] ((عن ابن عباس قال: البنون: الصغار، والحفدة: ما قد أعان والده على عمله.[٨٧] وقال ابن مسعود: البنون: الأولاد، والحفدة: الأختان))[٨٨].

٤ – يستشهد كثيرًا جدًّا بأقوال ابن عباس رضي الله عنهما، ولكنه كثيرًا ما يذكر قوله عن طريق: الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والأمثلة عليه كثيرة، منها: عند تفسيره قول الله تعالى: **((وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِي))** [طه:٨٥]، يقول: ((وروى الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس: أن السامري كان من جملة صبيان غيّبهم الآباء والأمهات مخافة أن يذبحهم فرعون، فربّتهم الملائكة، وكان جبريل هو الذي تولى تربية السامري، فكان يمص إبهام يمينه سمنًا، والأخرى عسلاً ولبنًا، فمن ثم عرفه حين رآه، فقبض قبضة من أثره)).[٨٩] وفي تفسيره قول الله تعالى: **((وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ))** [المائدة:٣٨] يقول: "روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن الآية نزلت في طعمة بن أبيرق سارق الدرع"[٩٠].

ومن المعروف أن رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس من أضعف الروايات وأوهاها، فلا يستشهد بها.[٩١]

٥ – ويستشهد بقول صحابي على معنى تدل عليه الآية: يروي عن عمر بن الخطاب قوله: لخطيئة أصبتها بمكة أعز عليّ من سبعين خطيئة أصبتها برُكْبة.[٩٢] وذلك في معرض تفسيره قول الله تعالى: **((ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ))** [الحج:٣٠].

٦ – يستشهد بقول صحابي على أهمية سورة: عند تفسيره قول الله تعالى: **((سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا))** [النور:١]، يذكر أثرًا عن عمر بن الخطاب أنه كتب: علموا نساءكم سورة النور.[٩٣]

٧ – يذكر قولين متعارضين لصحابي ويوفق بينهما: ففي تفسيره قول الله تعالى: **((يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ))** [السجدة:٥] يورد قولين لابن عباس في تفسير مقدار اليوم فالقول الأول هو: في يوم من أيام

(٨٦) درج الدرر، الجرجاني، ٢٥٠/٢، وينظر: النهاية في غريب الأثر، أبو السعادات ١٤٣/٥، ولسان العرب، ابن منظور ٧١٥/١١.
(٨٧) ينظر: الدر المنثور، السيوطي ١٣١/٥.
(٨٨) درج الدرر، الجرجاني، ١٩١/٢، وقول ابن مسعود ينظر في: المستدرك، الحاكم ١٩١/٢، والدر المنثور، السيوطي ١٣١/٥.
(٨٩) درج الدرر، الجرجاني، ٢٥٦، وينظر: درج الدرر٢٨٤، الجرجاني، و٣٧٢.
(٩٠) درج الدرر، الجرجاني، ٥٦٤/١-٥٦٥.
(٩١) ينظر: مناهل العرفان، ١٥/٢.
(٩٢) درج الدرر، الجرجاني، الزرقاني، ٣٠٨. رُكْبة: بين مكة والطائف، معجم البلدان، الحموي ٦٣/٣. والأثر أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٨٨٧١).
(٩٣) درج الدرر، الجرجاني، ٣٥٣/٢، ينظر: مصنف عبد الرزاق (١١٣٣).

الدنيا، ولو سار أحد من بني آدم لم يسره في ألف سنة.[٩٤] والقول الثاني هو ما جاء في تفسيره قول الله تعالى: **((وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّون))** [الحج:٤٧]: ((وعن ابن أبي مُليكةَ قال: مررتُ أنا وعبدُ اللهِ بنُ فيروز مولى عثمانَ على ابنِ عباسٍ فسلَّمنا عليه، فقال لصاحبي: مَن أنتَ؟ فانتسبَ له فعرفَه فقال: يا أبا العباس، **((تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ))** [المعارج:٤]، أيُّ يومٍ هذا؟ فقال: إنَّما سألتُك لتُخبرَني، قال: فهي أيَّامٌ سمّاها اللهُ تعالى في كتابِه، وهو أعلم بها، أكرَه أنْ أقولَ في كتابِ اللهِ ما لا أعلم، قال ابنُ أبي مُليكةَ: فضربَ الدهرُ ضربةً، فجلستُ إلى سعيدِ بنِ المسيَّبِ، سُئلَ عنِ المسألةِ، فلم يدرِ ما يقولُ، فقلتُ له: ألا أخبرُك بما شهدتُه منِ ابنِ عباسٍ؟ ثمَّ ذكرتُه له، فسرَّى ذلك عنه، وقال: هذا ابنُ عباسٍ قد اتَّقى أنْ يقولَ فيها، وهو أعلمُ منِّي)). فيقول في سورة السجدة: ((وهذه الرواية مخالفة لما سبق عن ابن عباس في هذا الباب، فإن صحت فيحمل: أنه فسَّر هذه الآية لتوقيفٍ، أو لدلالةٍ قامت له. ويحتمل: أن ما سبق قولُه الأول، وهذا قوله الثاني استفاده من عليٍّ أو أُبيٍّ أو غيرهما، أو فتح عليه بالإلهام، وأدركته دعوة النبي عليه السلام: ((اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل))[٩٥])).

يمكن القول بأن المؤلف رحمه الله تعالى قد أكثر بالأخذ بأقوال الصحابة، ولكن لم يمحص هذه الأقوال تمحيصًا تامًّا، فذكر الصحيح منها والضعيف والموضوع، كما أنه أورد الإسرائيليات على ألسنة الصحابة، التي تجعل القارئ يحذر كثيرًا من مثل هذه الأقوال.

المبحث الرابع ـ تفسير القرآن بأقوال التابعين وتابعيهم.

تعدّ أقوال التابعين هي النوع الرابع من أنواع التفسير بالمأثور، وإن اختلف العلماء في إدراجه بالتفسير بالمأثور على قولين:

الأول: إنه من التفسير بالمأثور، وأول من ذكر هذا النوع في التفسير المأثور الشيخ الزرقاني، إذ يقول: "منهم من اعتبره ـ تفسير التابعي ـ من المأثور؛ لأنهم تلقوه من الصحابة غالبًا"[٩٦]، ويأتي بعده الدكتور الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون فيقول: "وإنما أدرجنا في التفسير المأثور ما روي عن التابعي ... لأننا وجدنا كتب التفسير المأثور كتفسير ابن جرير وغيره لم تقتصر على ذكر ما روي عن النبي ﷺ وما روي عن الصحابة، بل ضمت إلى ذلك ما نقل عن التابعين في التفسير"[٩٧].

الثاني: إنه من قبيل التفسير بالرأي والاجتهاد.

وللجمع بين القولين نستطيع القول: إنه لا خلاف بين القولين إذ ما كان من قبيل الرواية ـ كما قلنا في تفسير الصحابي ـ أي: لا دخل للرأي والاجتهاد فيه، فهو من باب المرفوع إلى

(٩٤) درج الدرر، الجرجاني، ٤٤٥/٢، ينظر: تفسير ابن عباس صحيفة علي ٤٠٣، وتفسير الطبري ٢٣١/١٠.
(٩٥) درج الدرر، الجرجاني، ٣٤١/٢، ينظر: تفسير الصنعاني ١٠٨/٣، وتفسير القرطبي ٨٨/١٤.
(٩٦) مناهل العرفان، الزرقاني، ١٢/٢.
(٩٧) التفسير والمفسرون، الذهبي ٥/٤.

النبي ﷺ، ويكون هذا من قبيل مراسيل التابعي، وهذا له شروط للقبول تنظر في مظانها في كتب الحديث.

وإن كان من قبيل رأي التابعي وتابع التابعي فهو من قبيل الاجتهاد والرأي، لكنه من حيث هو مأثور لمن جاء بعد التابعي، أي: مروي عمن سبق لمن لحق فهو تفسير بالمأثور، والله أعلم.

مصادر التابعين في التفسير:

هي مصادر الصحابة نفسها، إلا أنه يضاف إليها مصدر آخر، وهو: الصحابة رضوان الله عنهم، فهم تتلمذوا على يد الصحابة.(٩٨) وقد نشأت مدارس للتابعين، كمدرسة مكة المكرمة، والتي قامت على يد الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ومدرسة المدينة المنورة، وقامت على يد الصحابي الجليل أُبي بن كعب رضي الله عنه، وقامت بالكوفة مدرسة أخرى على يد الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وكل من هؤلاء الصحابة تتلمذ على يديه مجموعة من التابعين اشتهروا بالتفسير.

ويعدُّ تفسير التابعين من قبيل التفسير بالمأثور، ويشمل التفسير بالمأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن النبي ﷺ، وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نقل عن التابعين من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم.

والواقع أنَّ كثيرًا من أقوال التابعين في كثير من القضايا التي لا يمكن أن تكون من أقوالهم، وليس للاجتهاد مجال فيها، من مثل أسباب النزول والنسخ وغيرها، فهذه الأقوال لا بد أن تكون قد أخذت من الصحابة رضوان الله عليهم، هذا إن كان التابعي الذي نقل هذا القول ثقة، فلا يمكن أخذه على أنه كذب، وإن لم يكن مورده فيها. والصحيح أنه يكون من المرسل الذي يقع فيه سقط للصحابي، ويكون حكمه كحكم المرسل في المعاملة والأخذ به.(٩٩)

أما ما كان في مجال الاجتهاد والرأي، فالرأي الراجح في ذلك أنه رأي قابل للصواب والخطأ، وإنما يستأنس به في التفسير، لأنهم قد شاهدوا وعايشوا الصحابة الذين بدورهم شاهدوا النبي ﷺ، وعاصروا التنزيل.

وقد نهج مؤلف درج الدرر رحمه الله تعالى نهجًا واسعًا في الأخذ بأقوال التابعين، وذكر أقوالهم، وأكثر النقل عنهم، سواء ذكر أن هذه الأقوال لهم أو لم يذكر، وقد اتبع الأساليب الآتية:

١ - يذكر قول تابعي لكنه ليس من باب الاجتهاد وإنما من باب مراسيل التابعي، وذلك بما يتعلق بسبب نزول الآية، ومن أمثلته ما ذكره خلال تفسيره قول الله تعالى: **((وَحَفِظْنَاهَا))**

(٩٨) ينظر: الفصول في أصول التفسير، الطيار، ٣٥-٣٦.
(٩٩) ينظر: مناهج المفسرين، الذهبي، ٤٤-٤٥.

{الحجر:١٧}، من قول نافع بن جبير ومحمد بن كعب: أمسكت في أيام الفترة، فلما بعث نبينا عاد الأمر كهيئته"[١٠٠].

٢ – أقوال يذكر أصحابها: وهي كثيرة وأكثر نهجه على ذلك، وأمثلته كثيرة منها:

ففي تفسير قول الله تعالى: ((**قَالَ قَآئِلٌ مَّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ**)) [يوسف:١٠]، يقول: ((قتادة وابن إسحاق: روبيل.[١٠١] مجاهد: شمعون[١٠٢]))[١٠٣]. وكذلك في تفسير قول الله تعالى: ((**وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ**)) [الحجر:٢٤]، يقول: ((**الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ**)): القرون الماضية، و ((**الْمُسْتَأْخِرِينَ**)) القرون الباقية، عن مجاهد.[١٠٤] وهم المسارعون في الخيرات، والمتثاقلون عنها، عن الحسن.[١٠٥] وهم من يُسلمُ، ومن لا يسلم، عن سفيان بن عيينة[١٠٦]))[١٠٧].

٣ – أقوال لا يذكر أصحابها: بل يذكر على صيغة (قيل)، ومن الأمثلة على ذلك:

ماجاء في تفسير قول الله تعالى: ((**وَنَحْشُرُهُ**)) [طه:١٢٤]، يقول: ".... وقيل: نسوقه إلى النار.[١٠٨]، وعند تفسير قول الله تعالى: ((**صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ**)) [الحج:٤٠] ، يقول: "وقيل: صوامع الرهبان، وصلوات كنائس اليهود، ومساجد المسلمين"[١٠٩]. وفي تفسير قوله: ((**مَّسْنُونٍ**)) [الحجر:٢٦] يورد أقوالاً عديدة في تفسير هذه الكلمة، فيقول: ((وقيل: مصبوب.[١١٠] وقيل: خلق الله تعالى قالبًا من سلالة الأرض على صورة آدم ...))[١١١].

٤ – يذكر أقوالاً عدة ويصدّرها بقول يُشعر أنه الراجح لديه بتقديمه له: ومنه في تفسير (الرياح اللواقح) في قول الله تعالى: ((**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ**)) [الحجر:٢٢]، يقول: ((التي تحمل الندى، والثرى؛ ليتكون غيومًا في أثنائها بإذن الله. وقيل: الملقحات للغيوم، والأشجار. وقيل: هي التي ينتفع بها؛ لما ضمَّنها الله تعالى من النفع، بخلاف العقيم، وهي: الدَّبُورُ. وقيل: اللواقح: ريح واحدة، وهي: الجنوب وحدها، وإنما جمع على الجنس. وقيل: كل ريح أتى بالمطر النافع، فهي من جملة اللواقح))[١١٢].

---

(١٠٠) درج الدرر، الجرجاني، ١٧٠/٢-١٧١، وينظر: تفسير القرطبي ١٣/١٩.
(١٠١) ينظر: تفسير الطبري ١٥٣/٧.
(١٠٢) ينظر: تفسير الطبري ١٥٣/٧، وتفسير ابن كثير ٣٧٢/٤.
(١٠٣) درج الدرر، الجرجاني، ١٢٢/٢.
(١٠٤) ينظر: تفسير الطبري ٥٠٨/٧-٥٠٩، وزاد المسير، ابن الجوزي ٣٠٢/٤.
(١٠٥) ينظر: المصدران السابقان.
(١٠٦) ينظر: تفسير الخازن٥٤/٣.
(١٠٧) درج الدرر، الجرجاني، ١٧٢/٢.
(١٠٨) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري ١٥٢٥/٢، عن أبي أسحاق، وزاد المسير، السيوطي ٢٤٥/٥.
(١٠٩) ينظر: تفسير الطبري ١٦٤/٩-١٦٥ عن مجاهد وقتادة.
(١١٠) ينظر: تفسير القرطبي ٢٩٣/٣، عن الزجاج.
(١١١) درج الدرر، الجرجاني، ١٧٣/٢.
(١١٢) درج الدرر، الجرجاني، ١٠٤/١.

٥ – يضعف قولاً من الأقوال أو يردّه:

فنجده يرد هذا القول: ففي تفسير قول الله تعالى: **((رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ))** [آل عمران:١٩٢]، يقول: (((الإخزاء): الإلجاء ... وههنا أربعة أقوال أحدها: أنَّه لا يُدخِل المؤمنِين النَّار وإن ارتكبوا الجرائم، بل يغفر لهم ويشفع فيهم؛ لأنَّه تعالى لا يُخزي النبي والذين آمنوا معه، [أي:] والمؤمنِين، وهذا قول فيه مقال ...))[١١٣]. وفي تفسير قول الله تعالى: **((وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ))** {البقرة:١٣٠} يقول: "وقول أبي عبيدة وأبي عبيد: إن معنى قوله: **((سَفِهَ نَفْسَهُ))**: أهلكها وأوبقها لا معنى له إلا أن يحمل قولهم: سفه الشراب، على معنى استهلك"[١١٤].

الخاتمة:

وبعد هذا التطواف الممتع في هذا الكتاب العطر، يظهر لدينا مجموعة من النتائج والتوصيات هي:

(١١٣) درج الدرر، الجرجاني، ٤٥٧/١.
(١١٤) درج الدرر، الجرجاني، ٢٤٧/١، وينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ٢١٠/١.

النتائج:

١ – تنوع أسلوب المؤلف في الاستشهاد بالآيات الكريمات في تفسيره بطرق متعددة، فنجده مرة يستشهد بآية أو آيتين أو أكثر على معنى لغوي أو نحوي أو بلاغي.

٢ – يعضد بعض الآيات التي يستشهد بها على تفسير آية بحديث نبوي شريف أو قول من أقوال أئمة التفسير أو اللغة.

٣ – وأحيانًا يرجح بين قولين بناء على آية أخرى يذكرها في معرض ترجيحه.

٤ – تنوع استشهاده بالأحاديث مما بين الصحيح والحسن والضعيف والمرسلة، والموضوعة أحيانًا.

٥ – أحيانًا يذكر الحديث كاملاً بنصه في معرض استشهاده، وأحيانًا أخرى بمعناه، وأخرى كلمة أو كلمتين أو أكثر من حديث من الأحاديث، فيشير مرة إلى أنه من أقوال النبي ﷺ، ومرة لا يشير إلى ذلك.

٦ – ينسب إلى الصحابي أو التابعي قوله فيذكر اسمه، وأحيانًا لا ينسبه إليه، وأخرى لا يوضح أنه من قول أحد، مدرجًا قوله خلال حديثه.

٧ – يذكر الأقوال يرجح بينها في بعض الأماكن، وفي بعضها الآخر لا يرجح.

التوصيات:

١ – دراسة مناهج المفسرين القدامى والمحدثين للتعرف عليها، والنفع منها.

٢ – الحذر من الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة جدًا والموضوعة أثناء تفسير كتاب الله تعالى.

٣ – الاستنارة بأقوال المفسرين القدامى وبخاصة الصحابة رضوان الله عليهم عند تفسير كتاب الله تعالى، فهم من شاهدوا التنزيل وعرفوه.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

١- الأدب المفرد: البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ ه)ـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط٣، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م.

٢- أصول التفسير وقواعده: الدكتور خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، عمّان، ط٢، ١٤٠٦ه=١٩٨٦م.

٣- بحوث في أصول التفسير ومناهجه: أ.د. فهد الرومي، مكتبة التوبة، ط٣، ١٤١٩ه.

٤- البرهان في علوم القرآن: الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١ هـ = ١٩٧١م.

٥- البلغة في تاريخ أئمة اللغة: الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ ه)ـ، تحقيق: محمد المصري، دمشق، ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م.

٦- تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م.

٧- تفسير ابن عباس المسمى صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم، اعتنى بها وخرجها: راشد عبد المنعم الرجال، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١١ه=١٩٩١م.

٨- تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل: البغوي، أبو محمد، الحسين بن مسعود (ت ٥١٦ هـ)، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار، ط٣، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م.

٩- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن، علاء الدين علي بن محمد (ت ٧٢٥ هـ)، ضبطه وصححه: عبد السلام محمد علي شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م.

١٠- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) : الطبري، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م.

١١- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ابن أبي حاتم الرازي، (ت٣٢٧هـ) تحقيق :أسعد محمد الطيب، الناشر :مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط٣ - ١٤١٩ هـ.

١٢- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م.

١٣- تفسير القرآن: عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١ هـ)، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠ هـ.

١٤- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): أبو عبد الله، محمد بن أحمدي القرطبي (ت ٦٧١ ه)ـ، تحقيق: إبراهيم اطفيش، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٦ م.

١٥- التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، قام بضبط نصوصه: الشيخ أحمد الزعبي، دار الأرقم، بيروت، (بلا. ت).

١٦- تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠ه)، تحقيق: د. رياض زكي قاسم، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٢ه=٢٠٠١م.

١٧- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: السيوطي، دار المعرفة، بيروت، (لا،ت).

١٨- درج الدرر في تفسير القرآن العظيم: المنسوب إلى عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ه)، دراسة وتحقيق: د. طلعت صلاح الفرحان، ود. محمد أديب شكور، دار الفكر ناشرون، عمان، ١٤٣٠ه=٢٠٠٩م.

١٩- زاد المسير في علم التفسير: الإمام أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٧٩ه)، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٢ه=٢٠٠٢م.

٢٠- سنن ابن ماجه: أبو عبد الله، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ ه)ـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، (لا،ت).

٢١- سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، (لا،ت).

٢٢- سنن الترمذي: محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ ه)ـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (لا،ت).

٢٣- السنن الكبرى: البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م.

٢٤- سنن النسائي: تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م.

٢٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩ه)، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩ه=١٩٧٩م.

٢٦- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القُشَيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (لا،ت).

٢٧- طبقات الشافعية الكبرى: السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١ ه)ـ، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، ود. محمود محمد الطناحي، ط٢، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م.

٢٨- فصول في أصول التفسير: د. مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٣، ١٤٢٠=١٩٩٩م.

٢٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، رتبه وضبطه وصححه: مصطفى حسين أحمد، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م.

٣٠- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: العجلوني، إسماعيل بن محمد، ت ١١٦٢ هـ، تحقيق: أحمد القلاش، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م.

٣١- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: للعلامة علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي (ت٩٧٥ه)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩ه.

٣٢- لسان العرب: ابن منظور، محمد بن مكرم، ت ٧١١ هـ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨ م.

٣٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: الهيثمي، نور الدين، علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧ ه)ـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.

٣٤- مجموع الفتاوى: لشيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٧٢٨هـ)، المحقق :عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٩هـ/١٩٩٥م.

٣٥- المستدرَك على الصحيحين: الحاكم أبو عبد الله، محمد بن عبد الله النيسابوري، (ت ٤٠٥ هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ = ١٩٩٠ م.

٣٦- مسند أحمد: أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، (لا،ت).

٣٧- مصنف ابن أبي شيبة: أبو بكر، عبد الله بن محمد (ت ٢٣٥ هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩ هـ.

٣٨- مصنف عبد الزاق: الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م.

٣٩- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب): ياقوت الحموي، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ ه)-، دار المأمون بمصر، ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ م.

٤٠- المعجم الأوسط: الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م.

٤١- معجم البلدان: ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م.

٤٢- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، راجعه: محمد علي قطب ويوسف الشيخ، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٦م.

٤٣- منهج النقد في التفسير: د. إحسان الأمين، دار الهادي، بيروت، ١٤٣٨ه=٢٠٠٧م.

٤٤- الموضوعات من الأحاديث المرفوعات: الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن عليه بن محمد بن جعفر ابن الجوزي، حقق نصوصه وعلق عليه: د. نور الدين بن شكري بن علي بوياجيلار، أضواء السلف الرياض، مكتبة التدمرية، ١٤١٨ه=١٩٩٧م.

٤٥- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣ م.

٤٦- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين يوسف ابن تغري بردي (ت ٨٤٧ هـ)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، (لا،ت).

٤٧- نزهة الألباء في طبقات الأدباء: أبو البركات الأنباري، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، ط٣، مكتبة المنار، الأردن، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م.

٤٨- نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق: ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤١٧ه=١٩٩٦م.

٤٩- النكت والعيون: الماوردي، أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠ هـ)، تحقيق: خضر محمد خضر، راجعه: د. عبد الستار أبو غدة، ط١، مطابع مقهوي، الكويت، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م.

٥٠- النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: مجد الدين، المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦ ه)ـ، تحقيق: صلاح محمد عويضة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ = ١٩٩٧ م.

٥١- هديـــة العـــارفين، أسـماء المـؤلفين وآثـار المصـنفين: إسـماعيل باشـا البغـدادي، إستانبول، ١٩٥١-١٩٥٥ م.